التصور الإسلامي في تأريخ الأدب- مفهومه وتطبيقاته

د. شعبان إبراهيم حامد

مدخـــل :

يطرح هذا البحث موضوع التصور الإسلامى فى تـأريخ الأدب، لا مـن باب تبنى الباحث لهذا التصور ولا الدفاع عنه، وإنما من باب أنه يعكـس توجهـاً فكرياً حديثاً فى دراسة الأدب، لزم طرحه ومناقشته حيث إنـه ـ فـى ضـوئه ـ يصبح التاريخ الأدبى تاريخاً مقيداً فى مادته وليس مطلقا بمعنى أنه يعنـى بنـوع معين من الأدب بذاته دون كل الأدب ويعكس ثقافة وفكـراً واحـداً، دون مراعـاة التعددية الثقافية التى هى سمة المجتمعات الإنسانية بصفة عامة والعربية والإسلامية بصفة خاصة، أى أنه فى ضوئه يصبح هناك تاريخ أدبى مختزل، بديلا عن التاريخ الأدبى القائم تحت مسمى التاريخ الأدبى الإسلامى، الأمر الذى يرى الباحـث معـه مسوغا لمناقشة مثل هذا الطرح، الذى يأمل الباحث من خلاله إلقاء الضوء على هذا التاريخ الأدبى البديل نشأة وملامحاً، بوصفه أحد متعلقات فكـرة الأدب الإسـلامى وظلالها الذى لم ينل – فيما يظن الباحث – حظه من الدراسة و البحث مثلمـا نـال المتعلق الآخر وهو النقد الإسلامى الأمر الذى يرى معه الباحث أهمية لهذه السطور القليلة التى يضطلع بها هذا البحث .

ويتحقق هدف البحث من خلال مناقشة هذين المحورين وهما :

مفهوم التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب ونشأته .

٢) ملامح التصور الإسلامى وتطبيقاته .

والله ولى التوفيـق،،

الباحـث

أولا : مفهوم التصور ونشأته :

يقصد بالتصور الإسلامى، دراسة الأدب والتأريخ له فى إطار من الخصائص والسمات التى بموجبها يكتسب هذا التاريخ الأدبى تميزه وخصوصيته الإسلامية، ويصبح تاريخاً لهذا الأدب الذى اصطلح على تسميته الباحثون والدارسون المحدثون باسم الأدب الإسلامى.(١)

وتتمحور هذه الخصائص وتلك السمات حول مضمون الأدب وأهدافه وتأثيره وشكله، بحيث يكون مضمون الأدب فى إطار تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه وتصوره لدور الكلمة وأهميتها فى حياة المسلم بصفة خاصة و الناس بصفة عامة بوصفها " وسيلة مهمة تؤثر فى الفكر والشعور معاً وتساهم فى الجوانب المختلفة من جوانب البناء الثقافى للإنسان: الجوانب الفنية و العلمية المادية و المعنوية، الواقعية و الخيالية " (٢)، وبوصفها أيضا " التى تعبر عما فى ضمائر الناس و تنقل ما تبدعه أفكارهم وتترجم عن مكنونات الإنسانية وتطلعاتها، وتصور حقائق الحياة وأشواق الإنسان ... فإذا صدرت عن معين طيب كانت كلمة طيبة وإن صدرت عن معين خبيث كانت خبيثة " (٣)

وبحيث يكون الأدب أيضا فاعلاً فى حياة الناس يؤثر فيهم ويتأثر به وذلك أن الأدب " تحت مظلة العقيدة الإسلامية الشاملة يهدف إلى تكوين الفرد المسلم ثم المجتمع المسلم ويهتم بكل صغيرة وكبيرة للآحاد والجماعات وتمثيل أمراضهم الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية و السياسية و الثقافية ويثير فى النفوس الرغبة للعمل الجاد والبناء الصامد، ويجعل من ذلك العمل قيمة لا تقل عن العبادة بل ويجعل من التفكير والتأمل أيضاً فرعاً من العبادة (لا عبادة كتفكر)، ويمارس فى

---

(١) يشمل هذا الأدب / نتائج البيئات العربية و الإسلامية معاً .

(٢) محمد حسن بريغش – فى الأدب الإسلامى المعاصر دراسة وتطبيق ط١ مكتبة الحرمين بالرياض ١٩٨٢م – ص ٢٠ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٠– ٢١ .

الواقع فعل الخيرات والتمسك بالإيثار و الحب والعدل ومحاربة الرذائل والمفاسد والمظالم وصور الاستغلال والتحلل والإباحية، ويربط حياة الفرد وحركة الجماعة بآداب ونظم وشرائع محكمة هى مقياس الإيمان الصحيح و الطريق إلى مرضاه الله" (٤) .

وذلك أيضا أن " الفنان المسلم يحس أكثر من غيره مأساة هذا العفن الذى يسمم الأجواء المعاصرة وهذا الفساد إلى طغى على البر والبحر بما كسبت أيدى الناس وهذا السوس الذى ينخر فى موجودات الجاهلية الراهنة وأشيائها وإنسانها على السواء الفنان المسلم يجد نفسه مسؤولا عن تجسيد المأساة وتصويرها وعن تشخيص ما فيها من أدواء وعن تحديد معالم الطريق الذى يخلص الإنسان المعاصر من الدوامة التى تطحنه ويخرج بها صوب آفاق الصحة و العافية و الخلاص" (٥).

وبحيث يكون الأدب أيضاً واقعيا وهو يعنى عند أصحاب هذا التصور، " التعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقى المتيقن لا مع تصورات عقلية مجردة ولا مع مثاليات لا مقابل لها فى عالم الواقع أولا وجود لها فى عالم الواقع يتعامل مع الحقيقة الإلهية متمثلة فى آثارها الإيجابية وفاعليتها الواقعية ويتعامل مع الحقيقة الكونية متمثلة فى مشاهدها المحسوسة المؤثرة والمتأثرة ويتعامل مع الحقيقة الإنسانية متمثلة فى الناس كما هم فى الواقع" (٦)

وبحيث يكون الأدب أيضا متوافراً فيه المقومات الفنية و الجمالية التى يتميز بها عن سائر الكلام حيث " إن المضمون (أو الرؤية) ليس أمراً كافيا لأن يكون

---

(٤) د. نجيب الكيلانى – آفاق الأدب الإسلامى –ط١ مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان – ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م – ص ١٠١ .

(٥) د. عماد الدين خليل – فى النقد الإسلامى المعاصر ط٣ – مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان – ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م – ص ١٨٨ .

(٦) د. محمد صالح الشنطى : فى الأدب الإسلامى : قضاياه وفنونه ونماذج منه ط٢ درا الأندلس للنشر و التوزيع – حائل السعودية – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م – ص ٧٤ .

لدينا أدب إسلامى حق فحتى يكون الأدب أدباً لا بد من توفر مقومات التشكيل الفنى الجمالى" . (٧)

و هكذا يتضح أن مجموعة الخصائص والسمات التى يجب توافرها فى مادة التاريخ الأدبى الإسلامى المتصور تتوزع بين سمو المضمون و الهدف و الشكل وهى كما يرى أنصار هذا التوجه الإسلامى فى إبداع الأدب ودارسته، " ليست أعباء أو قيوداً تحمل الأديب فوق طاقته وتقسره على لون معين من ألوان التعبير، وتحمله على التكلف و التعمل، بل تبدو إطاراً عاما يتسق مع الفطرة السليمة ويحول بينها وبين الانحراف عن تلك الفطرة فتفسد الطبائع وتأسن الحياة وبالتالى يصبح الأدب الصادر عن تلك الطبائع المكبلة بالانحراف و الفساد شكلاً من أشكال التعبير المرضى" (٨)

وهو ما يتبناه أيضا الدكتور نجيب الكيلانى بوصفة رائدا من رواد هذا الاتجاه الإسلامى تحت معنى توظيف الفن و الأدب، فيقول : " وهذا التوظيف – إن صح التعبير للفنون و الآداب ليس فى جميع الأحيان قراراً سلطويا ولا توجيها جبريا، وإنما هو ينبع فى الحقيقة بصورة تلقائية أو ربما عفوية من قناعتنا الذاتية وآمال وهموم شخصيتنا ودوافعها دون أن يكون هناك أدنى تخاصم متعمد أو تنافر مصطنع أو مفروض مع فنون العالم وثقافاته عطاء وأخذاً أو رفضا وقبولاً أو انتقاء واستغناء" (٩)

ونلمس الدعوة إلى هذا التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب ومفهومه من كلام الدكتور نجيب الكيلانى – بوصفه كما سبق الإشارة إلى ذلك – أحد رواد

---

(٧) المرجع نفسه – ص ٨٠ .

(٨) المرجع نفسه – ص ٧٤ .

(٩) نحو مسرح إسلامى: ط ١ دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت –١٤١١ هـ/١٩٩٠م ص ١٠ .

الأدب الإسلامى إبداعاً ودراسة حيث يقول تحت عنوان تاريخ جديد (١٠) : " والذى نطلبه اليوم إعادة كتابه تاريخ الأدب ... الأدب الإسلامى منذ فجر الدعوة حتى يومنا هذا وتقسيمه إلى عصور ترتبط أساسا بوظيفة الكلمة فى الإسلام وبالمقاييس الإسلامية و الإنسانية و الحضارية العالية التى أكدها الرسول مع حسان بن ثابت ومن معه من شعراء الإسلام الأوائل " (١١)

ثم يضيف موضحاً مفردات هذا التصور فيقول : " إن المضمون الفكرى و التأثير العاطفى والعقلى للأدب وكذلك الأهداف السلوكية التى تتولد عنه والتمديد الحضارى للشخصية الإسلامية المتنامية الإيجابية والتى تتكون بفعل العوامل المختلفة النابعة من فكر الإسلام وقيمه أقول هذه مجتمعة هى المقياس الذى نقيس به تراثنا الكبير من الأدب شعراً ونثراً فى العصور المختلفة مضافا إلى ذلك بالطبع استقامة الشكل الفنى أو الإطار الإبداعى المتعارف عليه"(١٢)

وبجانب هذا التحديد من جانب الدكتور نجيب الكيلانى، لملامح مادة التاريخ الأدبى الإسلامى المتصور نجده يؤكد على أهمية عدم إغفال المؤثرات التى عملت فى هذه المادة يوصف ذلك أحد مهام علم تأريخ الأدب الأساسية حيث يقول معقبا على كلامه السابق: "ولا يعنى ذلك أننا نتجاهل المؤثرات السياسية والتاريخية والبيئية والثقافات القائمة، والعلاقات المتعددة بين أمتنا وأمم الأرض الأخرى أو المؤثرات الفردية التى خلفها الفلاسفة والعلماء والحكام والقادة فى تلك العصور المتلاحقة " (١٣)

وواضح من كلام الدكتور نجيب الكيلانى السابق الذى يتعلق بمفهوم التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، أنه يعكس تيارا معارضاً للتاريخ الأدبى القائم

---

(١٠) انظر آفاق الأدب الإسلامى – ص ١٩ .

(١١) المرجع نفسه – نفس الصفحة .

(١٢) المرجع نفسه – ص ١٩ – ٢٠ .

(١٣) المرجع نفسه – ص٢٠ .

ويعكس أيضا رغبة فى استبدال هذا التاريخ بتاريخ آخر يبرز خصوصية الثقافة الإسلامية ويؤكد هويتها .

ونلمس هذه المعارضة وتلك الرغبة من كلام الدكتور نجيب الكيلانى نفسه الذى يقول فيه :" تاريخ الأدب فى أمتنا يحتاج إلى النظر الجدى فيه وإعادة كتابته من جديد على أسس صحيحة" (١٤)

ومن كلام الباحث الدكتور / عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش صاحب الدعوة أيضا إلى منهج إسلامى فى دراسة الأدب حيث يقول عند تبريره لدعوته هذه، بما يؤكد هذه المعارضة وتلك الرغبة : " ولما أصاب تاريخ هذه الأمة الإسلامية : مكر الحاقدين، وعبث العابثين، كان لزاما على أبنائها التصدى لأولئك بشئ من أسباب الدراسة و التحليل وذلك من أجل دفع ظواهر : الفرقة والتعصب والهوى والسعى فى إبراز تاريخ أمتهم الأدبى الناصع، فالواقع أن تاريخنا الأدبى لم يسلم من مظاهر : الترف، والتقسيم و فقدان المنهج فضلا عن ضعف التقويم الإسلامى و النقدى لذلك التراث الواسع ناهيك عن واقع امتنا الفكرى المعاصر وما يقابل به من تحد خطير وما نلحظه من حماسة فى التأصيل ورغبة فى القوة الإسلامية الصحيحة، مما يدعو إلى إيجاد منهج ادبى إسلامى" (١٥)

ولعل هذه المعارضة من جانب أصحاب هذا التصور الإسلامى للتاريخ القائم والرغبة فى إعادة كتابته فى ضوء تصور آخر كما تشير النصوص السابقة تعودان -فيما يرى الباحث- إلى قصور المنهج القائم فى دراسة الأدب العربى و الذى من ثمراته التاريخ الأدبى القائم، حيث يتخذ القائمون على هذا المنهج من أحداث الأمة السياسية وتقلباتها وتغيراتها آلية للتأريخ للأدب العربى، ودراسته الأمر الذى طبع الأدب العربى على امتداد عصوره بطوابع يراها أصحاب التصور

---

(١٤) المرجع نفسه – ص١١ .

(١٥) نحو منهج أدبى إسلامى ط ١، مطابع مازن، أبها، المملكة العربية السعودية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م ص ٨،٧

الإسلامى لا تمت بصلة للإسلام ومبادئه ومن ثم جاء تاريخ الأدب لا يمثل حضارة هذا الدين ولا يعكس شخصيته وهو ما يريده أصحاب هذا التصور من خلال التاريخ الأدبى الإسلامى.

وهذا ما نلمسه من كلام الدكتور نجيب الكيلانى الذى ينتقد فيه هذا المنهج القائم فى دراسة الأدب حيث يقول بعد أن عرض لحال الأدب العربى على امتداد عصوره من حيث قربه وبعده من مبادئ الإسلام وقيمه : " من هنا يمكننا القول بأن تقسم تاريخ الأدب إلى عصر أموى وعصر عباسى أول وثان وثالث .... إلخ تقسيم تعسفى يؤكد ما حدث من انفصالية بين الدين والأدب ويؤكد ارتباط الأدب بالسياسة والمذهبية والعنصرية وبالقوى المتحكمة فى مصائر الخلق قديما وحديثا وهى نكبة بلى بها الأدب فى أمتنا" (١٦).

وقريب من هذا النقد، كلام الباحث الدكتور عبد الله أبو داهش عن النظرية المدرسية فى دراسة الأدب حيث يقول : " ومن المعلوم أن هذه النظرية المدرسية القائمة تنحو منحى التقسيم السياسى حيث تنقسم خمسة أقسام هى : عصر الجاهلية، وعصر صدر الإسلام وعصر بنى العباس وعصر الدول المتتابعة و العصر الحديث مما دعا إلى إخضاع الأدب إلى فواصل زمنية هى أقرب إلى الأحداث السياسية وإلى فصل تاريخ الأدب فى بعض البيئات مثل الأندلس، عن مسار هذا المنهج فضلا عن إهمال تاريخ بعض البيئات الأدبية ايضا مثل أدب الجزيرة العربية فى الحجاز ونجد و اليمن وتهامة، وعسير و الإحساء وعمان إلى جانب العمل على إيراد النصوص الأدبية دون تمحيص أو تحقيق وكذا تجزئة تاريخ الأمة الناصع وفق اتجاهات ومجموعات أدبية مما أفقد القيم الإسلامية جمالها وأظهر الصراعات والخلافات السياسية المذهبية الخطيرة" (١٧)

ثم يضيف معقبا على نقده هذا فيقول :" فنهج هذه المدرسة الأدبية القائم يمثل

---

(١٦) آفاق الأدب الإسلامى، ص ١٩ .

(١٧) المرجع السابق ص ١٠ .

اختلافات هذه الأمة عبر تاريخها الطويل ويصف ضعفها فى عصورها الوسيطة ولم يستطع هذا المنهج مواجهة التحديات التى عرفها العصر الحديث مما أوجب تخليص ذلك الأدب من أمشاج التراث ودفع حجة الضعف التى وصف بها، بل وتحقيق مسار الصحوات الفكرية التى عرفها هذا التاريخ والنماذج الأدبية الجادة التى استوعبها من قبل عبر هذه المسيرة الأدبية الطويلة. "(١٨)

ثم يلفت الباحث الدكتور عبد الله أبو داهش، النظر إلى سبب اضطراب هذا المنهج وقصوره فيراه فى اتخاذ الشعراء و الأدباء من مؤرخى الأدب سبيلا لمناصرة أحزابهم ومن ينتمون إليهم عن طريق تسجيل أشعارهم التى تحمل وجهة نظرهم تجاه فئة بعينها حيث يقول فى إطار نقده لمنهج الدراسة الأدبية القائم : " ويتحقق اضطراب ذلك المنهج فى وفرة ذلك النتاج الأدبى الذى عبر فيه قائلوه عن وجهات نظرهم وعن اتجاهاتهم الأدبية و الفكرية عبر تاريخ هذه الأمة الطويل وكل من أولئك يميل إلى طائفته وحزبه حيث وجدوا من مؤرخى الأدب ومن سبقهم من المهتمين بالأخبار والتراجم السبيل للمشايعة و التأييد "(١٩)

ثم يضيف قائلاً : " وكان ينبغى عندئذ أن يسعى المنصفون من مؤرخى الأدب نحو إيجاد منهج أدبى سوى يدنون فيه من : هدى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما نهجه صالحو هذه الأمة وما سجله تاريخهم المجيد من آثار ومواقف رفيعة ليمكن أن يفاد من هذا المنهج فى توجيه الناشئة وتربيتهم وإيضاح حال أمتهم من خلال اطلاعهم على نتاج مفكريهم وأدبائهم" (٢٠)

ونظراً للعلاقة الوثيقة بين نقد هذا المنهج وموضوع البحث فإن الباحث يرى أهمية ما فى عرض نقد آخر لهذا المنهج من خلال أحد أنصار التصور الإسلامى فى دراسة الأدب وهو الأستاذ محمد حسن بريغش، والذى يثنى على جهوده فى هذا

---

(١٨) المرجع نفسه – نفس الصفحة .

(١٩) نفسه – ص ١٠-١١ .

(٢٠) المرجع نفسه – نفس الصفحة .

المجال الدكتور نجيب الكيلانى، فيقول :" ومنذ وقت مبكر دأب الأستاذ محمد بريغش على تناول العديد من الأعمال الأدبية شعرا ونثرا، فى ظل المفهوم الإسلامى الشامل، ولم يكف عن نشاطه الجيد فى هذا المجال حتى اليوم"(٢١)، حيث يعرض لنقد هذا المنهج بشئ من التفصيل، فهو ينتقد بشدة دراسة الأدب من خلال تقسيمه إلى عصور سياسية و يسجل حول ذلك أربع ملاحظات، يقول فى الأولى : " إن إخضاع الدراسة التاريخية للأدب إلى التقسيمات السابقة تجعلها ترتبط بأمور سياسية وصراعات مذهبية وفكرية تجعل الذين وضعوا هذه التقسيمات يطبعون الحياة كلها بطابعها، ليحملوا الأدب ما لم يكن يحمل فى الحقيقة آنذاك، وهذا يخدم الفلسفات الحديثة التى تهدف إلى ربط الأدب بالمصالح المادية أولا،و إلى تقسيم ولاءات الناس وارتباطاتهم ببعض حسب المادة أو الجنس كالقومية و الاشتراكية و الوطنية و الرأسمالية وغيرها". (٢٢)

ويقول فى الثانية :" وهذه التقسيمات تتجاهل إلى حد كبير تأثير الإسلام فى الحياة عامة والأدب خاصة، ومدى ارتباط المسلمين بشرع الله فى تلك العصور، ومدى التزامهم بتطبيقه والتخلق بأخلاقه، وتنفى خضوع الأدباء خاصة و الحكام وبقية الناس بشكل عام لمنهج الله ". (٢٣)

ويقول فى الثالثة : " وينبغى أن لا ننسى ارتباط هذه التقسيمات بدراسات المستشرقين والمبشرين الذين كانت لهم غاياتهم وأهدافهم البعيدة فى دراسة التاريخ الإسلامى، و الأدب العربى والذى هو وليد هذا التاريخ وتأثير ذلك على المجتمع المعاصر ولاسيما المتعلمين من الأجيال المتعاقبة" (٢٤)

---

(٢١) رحلتى مع الأدب الإسلامى : ط١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، ص ٤٩ .

(٢٢) المرجع السابق / ص٦٩، ٧٠ .

(٢٣) نفسه – ص ٧٠ .

(٢٤) المرجع نفسه – ص ٧١ .

ويقول في الرابعة ناقدا الدراسات الأدبية التي قامت على هذا المنهج : "ومن مظاهر هذه الدراسات والمنهج المتبع فيها أنها كانت تتبع النقاط الضعيفة والنماذج الشاذه والانحرافات الفردية لتجعل منها كيانا وتتخذها معلما على العصر كله وهكذا برز الماجن والشاذ و المتتبع لعورات المسلمين و الملحاح وأوكار الماجنين ودعوات الحاقدين" (٢٥)

ويضيف معقبا على هذه الملحوظة : " ومن الغريب أن هذه الدراسات أصبحت أساسا في الدراسات التالية وقبل الدارسون هذه النتائج، وبنوا عليها واستمروا بها" . (٢٦)

وبعد تسجيل هذه الملاحظات، يدعو الأستاذ محمد حسن بريغش الباحثين والدارسين إلى ترك مثل هذا المنهج وما ترتب عليه من دراسات ونتائج فيقول : " بعد هذا من الخطأ أن يتناول الأديب المسلم والناقد المسلم هذه النتائج بالتسليم ويظل مستعبدا لهذه التقسيمات والأشكال مهما كانت ضخامة الدراسات التي نتجت عنها بل إنه من الجد في الدراسة والمسؤولية أمام رب العالمين أن يراجع المسلم نفسه أولاً فيتخلص من الآثار الخاطئة والتصورات المنحرفة التي حشيت بها أذهاننا وملأت كتبنا . (٢٧)

ثم يدعو بعد هذه المراجعة إلى تطبيق التصور الإسلامي في تأريخ الأدب ودراسته فيقول : " وبعد المراجعة نعود إلى تراثنا الأدبي لاستقرائه من جديد ومراجعته ودراسته بنظرة إسلامية واعية وبتقويم موضوعي عادل . (٢٨)

ثم يحدد الأستاذ محمد حسن بريغش، مراده من دراسة التراث الأدبي واستقرائه من منظور إسلامي، فيقول : " وأقصد باستقراء التراث بنظرة إسلامية

---

(٢٥) المرجع نفسه – نفس الصفحة .

(٢٦) المرجع نفسه – نفس الصفحة .

(٢٧) المرجع نفسه – ص ٧٢ .

(٢٨) المرجع نفسه – نفس الصفحة .

واعية، أن يتسلح الدارس أولا بتصور إسلامى صحيح واضح، يجعله مطمئنا متوازنا، بعيداً عن التعقيدات أو ردود الأفعال، سليما من اللوثات الحديثة التى تريد أن تلبس الإسلام لباسا غربيا، وأن يكون ملتزماً بتفكيره وسلوكه بهذا التصور لكى لا يقع فى اللبس من خلال معايشة الواقع أو المعايير الداخلية ولا سيما حينما يكون بعيدا عن الإسلام فى التصور والتطبيق، لهذا فإن الدارس ليس معفيا من مراجعة مفهوماته عن الإسلام، وفهم حقيقة الألوهية كما بينها لنا رب العالمين فى كتابه العزيز، وكما وردت فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفهم حقيقة الإنسان المخلوق وصلته بخالقه، وغاية وجوده، ومعنى استخلافه، ومعرفة حقيقة الكون، مع كل ما بين هذه الحقائق من صلات وعلائق" (٢٩)

ويفهم من كلام الأستاذ محمد حسن بريغش هذا، أن دراسة التراث الأدبى من المنظور الإسلامى، لا تتأتى إلا إذا أعد الدارس أولا إعداداً إسلامياً صحيحاً، فهما وتطبيقا، مما يدل على خصوصية التصور الإسلامى فى دراسة الأدب.

ثم يلفت الأستاذ محمد حسن بريغش، نظر الباحث والدارس إلى علاقة الأدب بما حوله من مؤثرات، فيقول معقبا على كلامه السابق " ومعرفة تراثنا الأدبى ليس بعيداً عن تاريخنا العام، وتطور مجتمعنا الإسلامى، وطبيعة العوامل التى أثرت فى تكوينه، وساهمت فى توجيه الأحداث، لكى لا يفوته اكتشاف الحقيقة، ومعرفة العناصر المدخوله، أو الشاذة، وحين يتعرف إلى هذا الإطار العام يدرك كثيرا من الحقائق التى دفعت الدارسين إلى توجيه تاريخنا الأدبى إلى المنحى الذى نراه" . (٣٠)

ويضيف حول هذا الشأن قائلا " والأدب – أيضاً – لا يعدو كونه نتاجا إنسانيا وصورة من التفاعل بين الإنسان والكون، أو من علاقة الإنسان بأخيه، وأحيانا من علاقة الإنسان بربه الخالق المدبر، وهو من خلال ذلك يعبر عن أثر هذه

(٢٩) المرجع نفسه / ٧٣

(٣٠) المرجع نفسه / ص٧٣

العلاقات فى نفسه ومجتمعه، ويصور نظراته وأفكاره فى الحياة بكل ألوانها وظروفها"(٣١).

ثم يوضح الأستاذ محمد حسن بريغش، أثر هذا التصور الإسلامى فى دراسة الأدب، فيقول : " فإذا وضعنا النتاج الأدبى، والأديب، تحت هذا المنظار تتغير الصورة والنتائج، ونكتشف روحا جديدة كانت مطموسة فى معترك الصراع، وحلبة الدراسات الموجهة، لأن أكثر الدراسات المعروفة كانت تنظر للأديب والأدب من خلال الإطار المادى البحت، ومن خلال التصورات الإنسانية التى استبعدت منهج الله وشرعه من مجال التطبيق العملى أو من مجال التطبيق والاعتقاد معا" (٣٢)

ثم يعيب الأستاذ محمد حسن بريغش على أصحاب هذه الدراسات، التى اتخذت من غير المنهج الإسلامى المتصور سبيلا لدراسة الأدب أنهم : استطاعوا عبر قرن من الزمان أو يزيد أن يصلوا إلى نتائج خطيرة جعلوها أصناما تستعبد الدارسين لأجيال كثيرة بعدهم" (٣٣)

ويعيب عليهم أيضا أنهم كم وقفوا " أمام نزعة شاذة وتافهة وقفة المعجب، فالحوا بالبحث والتنقيب حتى صنعوا منها فناً مبتكرا، وصوروها مدرسة مبدعة، ورفعوا أصحابها إلى مستوى رواد الإصلاح، وجعلوا آثارهم هدى يسير على منواله من أتى بعدهم من المعجبين" (٣٤)

ويعيب عليهم –أيضا – أنهم " كم أهملوا من آثار قيمة، ونصوص ممتازة، وأدباء نابغين، لأنهم لم يسفوا فى القول، ولم يصوروا الشاذ والفاسد ولم ينخرطوا

---

(٣١) المرجع نفسه ص ٧٤

(٣٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة

(٣٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة

(٣٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة

فى صفوف العابثين، ولم يقربوا من المجان والفساق، ورفضوا الطيش والجحود والطغيان" (٣٥)

وهكذا يمثل الأستاذ محمد حسن بريغش، أحد المعارضين لمنهج الدراسات الأدبية القائم، وأحد الداعين إلى تطبيق التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، حيث يعول عليه الكثير فى تحقيق النتائج الإيجابية التى لم تتحقق فى ظل المنهج القائم والمتبع، حيث يقول: "ولا أستطيع تحديد النتائج التى يمكن أن يتوصل إليها دارس مسلم، ينظر إلى الأدب وتطوره من خلال التصور الإسلامى، ولكنى على يقين، بأن كثيرا من النتائج التى توصل إليها الدارسون لهذا الأدب لن تكون صحيحة، ولن يصل إليها، وكذلك فإن تقويم هذا الأدب وصورته سوف يختلف عما يصل إليه هذا الدارس، ولابد أن يخرج بنتائج تظهر أثر الإسلام وتصوره فى هذا الأدب، بل لابد أن يجد الدارس نصوصا وشعراء لم يأبه لهم الدارسون لأنهم لم ينتظموا فى صفوف التطور السياسى الذى اعتمد أساسا للدراسات الأدبية(٣٦)

ويخلص الباحث من عرضه لهذه الانتقادات لمنهج الدراسات الأدبية القائم، وذلك من جانب أصحاب التصور الإسلامى فى دراسة الأدب، والذى مثل آراءهم فى هذا الصدد بكلام كل من الدكتور نجيب الكيلانى، والدكتور عبد الله أبو داهش، والأستاذ محمد حسن بريغش، يخلص إلى القول، بأن الباعث وراء الدعوة إلى التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، هو قصور المنهج المتبع، والذى لم يحقق لأصحاب هذا التصور بغيتهم فى إظهار شخصية الأمة وملامح حضارتها، وذلك أن التاريخ الأدبى المترتب عليه، لم يكن تاريخا لذلك " الأدب النظيف الجميل الهادف، صوت الإنسان العربى المسلم" (٣٧) الذين يرون فيه" نافذة رحبة يستطيع الآخرون

---

(٣٥) نفسه، نفس الصفحة

(٣٦) نفسه، ص ١٤٥، ١٤٦

(٣٧) د. عبد الباسط بور، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامى، ط١، دار المنارة للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، ص ٩٨

أن يلموا بالكثير من خلالها عن شخصيتنا وأسلوبنا الحضارى وأهدافنا ووسائلنا، وثراء القيم الإنسانية الخالدة التى تشبعت بها عقولنا وأرواحنا" (٣٨) وإنما كان تاريخا لذلك الأدب العام، بكل ما يحمل من خصائص وسمات وتوجهات وأفكار أصحابه، ما أتفق منها واختلف مع مبادئ الدين وقيمه.

فالتصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، إذن دعوة تجديدية لمنهج البحث فى مجال تاريخ الأدب، كما أن الأدب الإسلامى ذاته " حركة تجديد لأدبنا العربى المعاصر، وآداب الشعوب الإسلامية الأخرى" (٣٩)

---

(٣٨) د. نجيب الكيلانى، آفاق الأدب الأسلامى ص ٣٥

(٣٩) د. حلمى محمد القاعود، الواقعية الإسلامية فى راويات نجيب الكيلانى، دراسة نقدية، ط١، دار البشير، عمان، الإن ١٤١٦هـ، ١٩٩٦ م ص ٧

ثانيا: ملامح التصور وتطبيقاته:

عند الحديث عن ملامح التصور وتطبيقاته فى تأريخ الأدب، تبرز مشكلة أمام الباحث، وهى قلة التطبيق، ومحدودية الجهود التى كتبت فى مجال تاريخ الأدب الإسلامى، حيث أسرف الباحثون والدارسون فى قضية التنظير للأدب الإسلامى والدعوة إليه، والدفاع عنه، دون التطبيق عليه والتأريخ له إلا قليلا مما سوف يشير إليه البحث.

وهذا ما يشير إليه أحد الباحثين فى قوله : " فإن الأدب الإسلامى بوصفه حركة تجديد لأدبنا العربى المعاصر، وآداب الشعوب الإسلامية الأخرى يحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث التطبيقية التى تبرز خصائصه وملامحه، وتساعد على تقديمه للقراء بصورة ساطعة ومركزه" (٤٠) ثم يضيف قائلا : " ولعل المهتمين بالأدب الإسلامى أسرفوا فى مسألة التنظير وجاء معظم كلامهم متشابها، مع بعض الخلافات الهامشية والجزئية، ولكن الدراسة التطبيقية ظلت متواضعة المستوى كما وكيفا" (٤١)

يضاف إلى هذا البعد فى هذه المشكلة، وهو الإسراف فى التنظير دون التطبيق، بعدا آخر، وهو أن ما تحقق من جهود تطبيقيه فى مجال الأدب الإسلامى، كان أقرب إلى النقد منه إلى تاريخ الأدب، مثل محاولة الدكتور محمد حلمى القاعود فى دراسته للواقعية الإسلامية عند نجيب الكيلانى، التى نحن بصدد الحديث عنها، فهى كما يصفها فى قوله:" لا تحتمل هذه الدراسة التأريخ لنجيب الكيلانى، وتناول سيرته أو ترجمة حياته بالتفصيل نظرا لأن الموضوع بحث نقدى يدرس ظاهرة معينة فى أدبه" (٤٢)

ومثل محاولة الدكتور مصطفى عليان فى كتابه مقدمة فى دراسة الأدب

---

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٧

(٤١) نفسه / نفس الصفحة

(٤٢) نفسه / ص ١٣٥

الإسلامى، والتى يحدد طبيعتها فى قوله:" وتقوم هذه الدراسة على محاورة النصوص الشعرية والنثرية فى وحدة زمنية محددة محاورة إسلامية فنية" (٤٣) ثم يقول نافيا عن عمله أن يكون تاريخا للأدب الإسلامى : " ولم يخطر ببال هذه الدراسة ولا كان فى قصد صاحبها الاستيعاب أو الإحاطة والشمول، وإنما غاية المرام فى ذلك طرح محاولة لتأصيل منهج فى دراسة الأدب الإسلامى، عماده الالتصاق بالنصوص، والاقتراب من أصول التجارب الأدبية" (٤٤)

فحظ التأريخ للأدب فى ضوء التصور الإسلامى إذن قليل جدا، إذا ما قيس بمحاولات النقد الأدبى وذلك راجع، فيما يرى الباحث إلى صعوبة التأريخ للأدب بصفة عامة لتشابك عناصره وكثرة مسائله " فكتابة تاريخ الأدب ليس عملية مبسطة سهلة ولكنها معقدة أشد التعقيد، ولا يمكن أن يقوم بها فرد بعينه ولكنها ميدان شاسع لكل العاملين المخلصين فى مجال الجامعات والدراسات الإنسانية والكتاب والنقاد على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم" (٤٥)

وفى ضوء ما تقدم، ينوه الباحث إلى أنه سوف يعتمد فى الحديث عن ملامح التصور وتطبيقاته، على جهدين اثنين يراهما الباحث ذاتا صلة واضحة بتاريخ الأدب وهما كتاب فى الأدب الإسلامى المعاصر دراسة وتطبيق للأستاذ محمد حسن بريغش وكتاب فى الأدب الإسلامى : قضاياه وفنونه ونماذج منه، للدكتور محمد صالح الشنطى، فحسب هذين الجهدين أن يكونا نواة لهذا التأريخ الأدبى الإسلامى المتصور، وحسبهما – أيضا – أن يكونا مثالا على التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب الذى نحن بصدد الحديث عنه، ففيهما تتوافر عناصر التاريخ الأدبى بصفة عامة، والإسلامى بصفة خاصة، ونقصد بعناصر التاريخ الأدبى بصفة عامة،

---

(٤٣) مقدمه فى دراسة الأدب الإسلامى ط١، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م ص ٧، ٨

(٤٤) المرجع نفسه ص ٨

(٤٥) د.نجيب الكيلانى، آفاق الأدب الإسلامي، ص ٢٠

الترجمة للشخصيات الأدبية، والحديث عن العوامل التى أثرت فى نشأتها وتكوينها، واثر ذلك على نتاجها الأدبى، مع ذكر بعض النماذج من هذا النتاج مشروحة ومدروسة.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك، التأريخ لحياة الدكتور نجيب الكيلانى، ولأدبه عند الدكتور محمد صالح الشنطى، فهو يبدأ هذا التأريخ بالتعريف بشخصية الدكتور الكيلانى، ميلادا ونشأة ومهنة وثقافة ، تحت عنوان من نجيب الكيلانى (٤٦) حيث يقول:" الدكتور نجيب الكيلانى من مواليد شرشابه بالغربية فى مصر ١٩٣١ تخرج فى كلية الطب وقد سجن وهو فى السنة الثالثة بتهمة انتمائه إلى جماعة الأخوان المسلمين، قرأ كتب التراث واطلع على ما أنتجه أدباء عصره، عمل طبيبا فى الكويت والخليج العربى، استقى ثقافته الدينية على يد خاله السلفى الحاج محمد الشافعى الذى تأثر بالدعوة الوهابية فهدم الأضرحة فى قريته وانضم إلى جماعة الأخوان وقد وقع نجيب الكيلانى ثمن انضمامه إلى الجماعة فلم يفرج عنه إلا فى عام ١٩٦٧ بعد النكسة وقد تركت فترة السجن هذه أثرا كبيرا فى حياته وكتاباته" (٤٧).

ويواصل الدكتور الشنطى حديثه عن المؤثرات التى عملت فى شخصية الدكتور الكيلانى وأدبه فيقول : " ومن العوامل التى تركت بصمانها على أدبه وتوجهه الإسلامى بالإضافة إلى ما سبق حفظه قدرا لا بأس به من كتاب الله العزيز، وعكوفه على دراسة الفكر الإسلامى ومشكلات العالم الإسلامى، حيث أصدر عدة كتب فى هذا المجال، وقد كان لكتابه الإسلامية والمذاهب الأدبية . الذى كتبه متأثرا بما رآه من محاولة ترويج الأدب الشيوعى كمحاولة لنشر الأفكار الماركسية أثر فى نشأة الأدب الإسلامى". (٤٨)

---

(٤٦) انظر المرجع السابق، ص ٣٧٨

(٤٧) المرجع نفسه ص ٣٧٨

(٤٨) المرجع نفسه /نفس الصفحة

ثم يتطرف الدكتور الشنطى إلى جهود الكيلانى فى الأدب الإسلامى فيراها متنوعة، حيث يقول :" ولم تقتصر جهود الدكتور الكيلانى على الأدب القصصى فحسب بل تبنى قضية الأدب الإسلامى تنظيرا وإبداعا شعرا وقصة قصيرة وراوية ومسرحية، وكان لديوانه أغانى الغرباء أثر فى هذا الاتجاه" (٤٩)

ثم يتحدث الدكتور الشنطى عن مؤلفات الدكتور الكيلانى بصفة عامة، فيقول:" وقد بلغت مؤلفاته ما يقرب من الستين كتابا فى موضوعات أدبية وعلمية متنوعة عدا المقالات والأبحاث المتفرقة، ولكن كان يركز جهوده الأساسية على الرواية إذ بلغ عدد رواياته ثلاثا وثلاثين رواية" (٥٠)

بعد ذلك يتحدث الدكتور الشنطى عن مصادر المادة القصصية عند الدكتور الكيلانى، فيراها فى مصدرين : الواقع التاريخى، والواقع الراهن، أما الواقع التاريخى فيرصد تحته روايات: (٥١) نور الله وقائل حمزة، واليوم الموعود، وموكب الأحرار، وطلائع الفجر، والنداء الخالد، وأرض الأنبياء، وفى الظلام، ورحلة إلى الله، ورمضان حبيبى، وعذراء جاكرتا، وليالى تركستان ومجموعته القصصية القصيرة : دموع الأمير، مع ذكر موضوع كل رواية .

ومما أخذه الدكتور الشنطى على الدكتور الكيلانى فى رواياته المستقاة من الواقع التاريخى " التزامه بكتابة المراجع والمصادر التى استقى منها مادته التاريخية" (٥٢)

ويعلق الدكتور الشنطى على هذا المأخذ بقوله :" وليس من شك فى أن توجيه الأحداث التاريخية بحيث يخدم مغزى أخلاقيا أو تثبت قيمة تربوية أمر محمود، ولكن مهمة التعليم والوعظ والتربية المباشرة ليس ميدانها الرواية، فالرواية

---

(٤٩) المرجع نفسه /نفس الصفحة

(٥٠) المرجع نفسه / ص ٣٧٨-٣٧٩

(٥١) أنظر المرجع نفسه، ص ٣٧٩

(٥٢) المرجع نفسه / نفس الصفحة

توحى وتؤثر، ولكنها لا تعلم والمنهج التعليمى يسئ إلى فنية الرواية، من هنا كان لابد من الغوص فى عمق الحدث التاريخى، وليس مجرد الاكتفاء بالتوجيه المباشر، فالمنهج التسجيلى للوقائع والالتزام بها التزاما دقيقا دون النفاذ إلى جوهرها وجعلها محور إشعاع ينتقص من الجانب الفنى" (٥٣).

أما المصدر الثانى، وهو الواقع الراهن، فيرصد الدكتور الشنطى تحته روايات الدكتور الكيلانى، التى كتبها متأثراً فيها بواقع عمله ومهنته كطبيب، مثل الذين يحترقون(٥٤) والربيع العاصف(٥٥).

ويلخص الدكتور الشنطى أهم القضايا التى تناولها الدكتور الكيلانى فى رواياته فيقول:" وقد رصد له بعض الباحثين عددا من القضايا المهمة التى ركز عليها الكاتب فى رواياته كالصراع بين المبدأ والواقع والعدالة الاجتماعية وحرية الرأى واغتصاب فلسطين ومشكلة الفقر، ويلقى الضوء فى رواياته الإسلامية، على قضية التصوف والمتصوفين الذين يمارسون طقوسا ليست(٥٦) من الدين فى شئ كما فى رواية عمالقة الشمال"

وبجانب هذا التنظير لحياة الدكتور الكيلانى وأدبه من جانب الدكتور الشنطى، نجد هناك تحليلا وافيا لبعض رواياته مثل نور الله (٥٧) وقاتل حمزة (٥٨) وعمر يظهر فى القدس (٥٩) وعمالقة الشمال" (٦٠)

وللتأكيد على علاقة هذين الجهدين بتاريخ الأدب، يرى الباحث ضرورة

---

(٥٣) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٥٤) أنظر المرجع نفسه ص ٣٨٠

(٥٥) أنظر المرجع نفسه، ص ٣٨١

(٥٦) المرجع نفسه / ص ٣٨٢

(٥٧) أنظر المرجع نفسه ص ٣٦٩وما بعدها

(٥٨) أنظر المرجع نفسه، ص ٣٧٣ وما بعدها

(٥٩) أنظر المرجع نفسه، ص ٣٧٥ وما بعدها

(٦٠) أنظر المرجع نفسه، ص ٣٩٠-٣٩٢

طرح مثال آخر من كتاب الأستاذ محمد حسن بريغش، وهو حديثه عن الشاعر السوري محمد منلا غزيل، ومجموعته الشعرية : اللؤلؤ المكنون (٦١) حيث يبدأ حديثه عنه بالتأكيد على أسلمته عقيدة وسلوكا وأدبا، فيقول :" الشاعر محمد منلا غزيل من أوائل الشعراء المعاصرين في سوريا الذين التزموا بمنهج الإسلام عقيدة وسلوكا وأدبا، وكرس حياته لذلك، دون أن يبخل براحة أو يضن بجهد أو يتردد في عطاء" (٦٢)

ثم يتحدث عنه ميلادا ونشأة وعملا وثقافة فيقول" ولد بمنبج في أواخر سنة ١٩٣٦، ودرس فيها حتى نال الشهادة الابتدائية بتفوق، مما أتاح له إتمام دراسته المجانية في ثانوية المأمون بحلب كطالب داخلي ونال منها الشهادة الإعدادية سنة ١٩٥٤م ثم أتم دراسته الثانوية ونال الشهادة المذكورة بتفوق أيضا واستطاع إتمام دراسته الجامعية كطالب نظامي في كلية التربية بجامعة دمشق حتى نال شهادة الليسانس في اللغة العربية سنة ١٩٦٢م ثم نال شهادة الدبلوم العامة سنة ١٩٦٢، عمل مدرسا لسنوات أحيل بعدها على التقاعد لأسباب صحية عام ١٩٦٩" (٦٣)

ثم يتحدث عن ملامح شخصيته ومصادر ثقافته فيقول :" وكان منذ صغره طالبا ذكياً يتقد بالنشاط والحيوية ويتطلع إلى مستقبل مشرق ويسعى للتزود بالثقافة بل كان نهما للقراءة وزيادة الإطلاع وكان تأثره واضحا من مطالعاته وبعض أساتذته إذ كان يكب على المطالعة بدار الكتب الوطنية ويحفظ كثيرا من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والشعر القديم والحديث، بل تراه يحفظ صفحات طويلة مما أعجب به من كتب مهما كانت موضوعاتها، وأسلوبها"(٦٤)

بعد ذلك يتحدث عن أثر ثقافته في شعره فيقول :" لقد ظهرت آثار هذه

---

(٦١) أنظر المرجع السابق ص ٨٥ وما بعدها

(٦٢) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٦٣) المرجع نفسه ص ٨٥

(٦٤) المرجع نفسه / نفس الصفحة

الثقافة الواسعة فى شعره المبكر، حيث بدأ ينظم الشعر فى سنة ١٩٥١م واستهواه آنذاك ما يسمى بالشعر الحر فنظم على منواله، متأثرا بما قرأه من شعراء المهجر وغيرهم، ومن أكثر الذين تأثر بهم آنذاك عمر أبو ريشه وفوزى المعلوف، وفؤاد بليبل وميخائيل نعيمة" (٦٥)

ويستدرك الأستاذ محمد حسن بريغش على كلامه هذا، فيقول، بما يؤكد أسلمة شعر الشاعر:" ولكن إعجابه بهؤلاء لم ينسه قضيته الأساسية والأولى فى الحياة قضية العقيدة، لذلك نراه، يرفض المضامين التى تشذ عن منهج الله، واشتهر بشعره الإسلامى الحار، وبياجته البحتريه، وإشراقه الروحى مع أنه كان لا يزال فى الجامعة" (٦٦)

ثم يتحدث عن نتائج الشاعر وغزارة إبداعه، فيقول :" لقد واصل الشاعر عطاءه شعراً ونثراً، كتب المقطوعة، والقصيدة، والنشيد، وخطب وحاضر، صدر له من المجموعات الشعرية ما يلى : فى ظلال الدعوة، الصبح القريب، الله .. الطاغوت، اللؤلؤ المكنون، طاقة الريحان، ثم صدرت له المجموعة الكاملة لأشعاره" (٦٧)

ثم يختتم الأستاذ محمد حسن بريغش ترجمته لهذا الشاعر بالكشف عن توجهه فى شعره فيقول :" ومهما يكن دور شاعرنا فإنه كان وما زال صوت الشباب المسلم، يعبر عن مشاعرهم، ويصور آمالهم ويتطلع معهم إلى آفاق المستقبل(٦٨)

ثم يشفع هذه الترجمة بإطلالة نقدية على شعره أطلق عليها خواطر (٦٩) وخلص منها إلى القول : " بعد هذه الجولة فى هذه المجموعة الشعرية للشاعر

---

(٦٥) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٦٦) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٦٧) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٦٨) المرجع نفسه / ص٨٧

(٦٩) أنظر المرجع نفسه ص ٨٧ وما بعدها

المسلم محمد منلا غزيل نخلص إلى أنه كان فى شعره كله، إسلامى الفكر إسلامى الشعور، إسلامى السلوك، واضح التصور، يحمل إشراقه الأمل والثقة بالنصر رغم قساوة الظروف وظلمة الأحداث..... إنه رسم لنا صورة المسلم، الإيجابى، بشمول تصوره، وسعة فكره، وقوة عزيمته، ووضوح الرؤية، وطهارة السلوك، وصدق الإيمان" (٧٠)

وهكذا يتأكد لنا من خلال عرض هذين النموذجين علاقة هذين الكتابين سالفى الذكر بتاريخ الأدب، الأمر الذى يسوغ للباحث الاعتماد عليهما فى استنباط ملامح التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، والتى يراها فى ملمحين اثنين.

أولهما: الاختيار والانتقاء من أدب العصر دون البحث الشمولى.

ثانيهما: استخدام آلية النقد الإسلامى.

أما الملمح الأول، فيعنى التركيز، وإلقاء الضوء فقط على التجارب الأدبية ذات المضامين والدلالات والأبعاد السياسية والاجتماعية والتربوية والتاريخية أى التى تعنى بمشكلة الإنسان بكل أبعادها، بوصف هذه التجارب نماذج تمثل فاعلية الأدب وواقعيته وإيجابيته وسمو رسالته، وهى سمات ما اصطلح عليه الدارسون باسم الأدب الإسلامى، كما سبق الإشارة إلى ذلك، وبوصف أصحابها – أيضا – يمثلون صورة الأديب المسلم فى فاعليته وإيجابيته وسمو رسالته، كما هو الحال فى الحديث عن الدكتور نجيب الكيلانى وأعماله الأدبية، حيث يمثل بحياته وأدبه مادة أساسية فى هذا التاريخ الأدبى الإسلامى فلا يكاد أحد يكتب فى هذا التاريخ إلا ويعرض له ولأعماله بالدراسة والتحليل كما سبق الإشارة عند الدكتور محمد صالح الشنطى، فى معرض الحديث عن علاقة كتابه بتاريخ الأدب.

كذلك الأمر نجده عند الأستاذ محمد حسن بريغش، حيث يتوقف عند الدكتور نجيب الكيلانى وأعماله وقفات متعددة انطلاقا من مبدأ الاختيار والانتقاء، الذى سبق الإشارة إليه، من ذلك وقفته عند ديوانه عصر الشهداء، الذى يعلن فى

(٧٠) المرجع نفسه / ص١٢٥، ١٢٦

بدايتها هذا المبدأ، حيث يقول:" وسط الزحام الخانق يبحث الظامئون عن واحة يستظلون بها من القيظ، وينشدون جرعة هانئة تمدهم بعزم جديد وتوقظ فى قلوبهم حب الأمل من جديد، وفى عالم الأدب ما زلنا ظامئين، وقد أتعبنا السير القائظ والرحلة الشاقة البعيدة .... وعبر هذا الدرب الشاق فاجأنا الدكتور نجيب الكيلانى بديوانه الجديد عصر الشهداء بعد أن زود مكتبة الأدب الإسلامى بعدد من رواياته الجديدة، التى برز فيها التصور الإسلامى للحياة، وتميزت بالكلمة الطيبة والفن الصادق، والتصوير الموحى، واللمحات الذكية" (٧١)

ويقول – أيضا – فى مقدمة وقفته الثانية عن قصة عمر يظهر فى القدس، بما يؤكد هذا المبدأ :" قليلة تلك الآثار الأدبية التى استطاعت أن تأخذ مكانها فى عالم الأدب المعاصر، وتبزر بسماتها الأصيلة، مع تميزها الإسلامى الذى يعبر عن تصور إسلامى واضح، ونهج سليم، وهى فى الوقت ذاته تدخل معترك الحياة المعاصرة لتعالج قضايا الواقع، ومشكلات الإنسان من خلال المنظار الإسلامى الصحيح" (٧٢)، ثم يضيف قائلا :" وتبرز لنا قصص الدكتور نجيب الكيلانى كواحدة من هذه الآثار، وكواحد من رواد القصة الإسلامية، بموضوعاتها وفنيتها، ووضوحها وتميزها، لاسيما فى قصصه الأخيرة نور الله، قاتل حمزة ودم لفطير صهيون، عذراء جاكرته، ليالى تركستان، عمالقة الشمال، حبيبى رمضان، عمر يظهر فى القدس" (٧٣)

ثم يرى الأستاذ محمد حسن بريغش بما يؤكد هذا المبدأ أيضا أن :" هذا الإنتاج الغزير يحتاج إلى أقلام الدارسين، لوصفه، وتحليليه، وتقويمه، والحكم عليه، بغية وضعه، فى موضعه المناسب، وتقديره حق قدره لأن ذلك يساهم فى رسم

---

(٧١) المرجع السابق، ص ١٢٧

(٧٢) المرجع نفسه / ص١٩٧

(٧٣) المرجع نفسه نفس لصفحة

الطريق لمنهج الأدب الإسلامى عامة وللقصة الإسلامية خاصة" (٧٤).

وهكذا يسهم الدكتور نجيب الكيلانى بتوجهه فى أدبه، فى تأكيد مبدأ الاختيار والانتقاء الذى يقوم عليه التاريخ الأدبى الإسلامى .

ومن الأمثلة الأخرى التى تؤكد هذا الملمح، اختيار الدكتور محمد صالح الشنطى لقصيدة فتاة العصر، للشاعر الفلسطينى الأصل كمال عبد الرحيم رشيد، والتى يدعو فيها المرأة إلى التعفف فى الملبس(٧٥) حيث يدافع عن اختياره لهذه القصيدة بما يؤكد هذا الملمح، فيقول:" أما القصيدة فهى توجيهيه تربوية، وقد اخترناها لأنها تمثل أحد توجهات الأدب الإسلامى فى العصر الحديث، وعلى الرغم من أن المنحى التربوى التعليمى لا يعتد به فى مجال الفن، فإنه رغبة فى استقصاء وتمثيل ألوان الأدب الإسلامى، كان لابد من أن نعرج على هذا النمط من الشعر" (٧٦)

فالهدف التربوى الذى تضطلع به هذه القصيدة كان إذن هو الدافع وراء اختيار المؤلف لهذه القصيدة والتأريخ لحياة صاحبها مما يؤكد مبدأ الاختيار والانتقاء كأحد ملامح التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب .

ومما يؤكد هذا الملمح – أيضا – التركيز على التجارب الأدبية، التى يمثل أصحابها رمزا من رموز النضال الوطنى سواء بالكلمة أو بالنفس لا سيما النضال من أجل فلسطين بوصفها قضية العرب الأولى ومفردة من مفردات الشعر الحديث، من ذلك حديث الدكتور محمد صالح الشنطى عن الشاعر السورى الجنسية عمر بهاء الدين الأميرى، وقصيدته روح مباح(٧٧) حيث يقول عنه، بما يؤكد هذا الملمح: " لم يكن من الممكن ونحن نتصدى لاختيار نماذج من الشعر الإسلامى

---

(٧٤) المرجع نفسه /نفس الصفحة

(٧٥) أنظر المرجع السابق، ص ٢٣٩

(٧٦) المرجع نفسه ص ٢٤٠

(٧٧) أنظر المرجع نفسه / ص٢٤٩-٢٥٠

المعاصر، أن نتجاوز واحداً من أبرز رواده، وهو الشاعر بهاء الدين الأميرى، صاحب ديوان الزحف المقدس." (٧٨)

ثم يذكر حيثيات هذا الاختيار، فيقول عنه: " شارك فى الدفاع عن القدس مع جيش الإنقاذ خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨" (٧٩)

ويقول عنه أيضا : " أهتم بقضايا الثقافة والسياسية والجهاد فى الوطن العربى والإسلامى" (٨٠)

ولعل فيما عرضه الباحث من نماذج يكفى للدلالة على هذا الملمح من ملامح التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، وهو الاختيار والانتقاء، وهو يأتى – فى رأى الباحث، استدراكاً من جانب أصحاب هذا التصور على عمل ومنهج أصحاب التاريخ الأدبى العام لأنهم -كما يرى هؤلاء – " كم أهملوا من آثار قيمه، ونصوص ممتازة، وأدباء نابغين، لأنهم لم يسفوا فى القول، ولم يصوروا الشاذ والفاسد، ولم ينخرطوا فى صفوف العابثين، ولم يقربوا من المجان والفساق، ورفضوا الطيش والجحود والطغيان" (٨١)، أو " لأنهم لم ينتظموا فى صفوف التطور السياسى الذى اعتمد أساسا للدراسات الأدبية." (٨٢)، وهذا أمر يجعل من التاريخ الأدبى الإسلامى، تاريخا ذا خصوصية.

أما الملمح الثانى، وهو استخدام "آلية النقد الإسلامى، فيقصد به تقييم النص الأدبى، والحكم عليه فى ضوء مقاييس الأدب الإسلامى وخصائصه التى سبق الإشارة إليها، وذلك أن أصحاب هذا التصور يرون فى الناقد، " وظيفة أخرى مقدسة هى تربية الذوق الفنى الصحيح لدى الناس، وإشراكهم فى المتعة النظيفة، والغذاء

---

(٧٨) المرجع نفسه ص ٢٥١

(٧٩) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٨٠) المرجع نفسه / نفس الصفحة

(٨١) محمد حسن بريغش / المرجع السابق / ص ٧٤

(٨٢) المرجع نفسه / ص١٤٦

الفكرى والروحى الذى يقبلون عليه باعتبارهم الجمهور المستهلك، وباعتبارهم القطاع العريض المستهدف" (٨٣)

كذلك يرون، " أن تشكيل أذواق الناس ووجدانهم أمانة، ورسالة خطيرة، والناقد الأمين يستطيع أن يقوم بواجبه فى هذا الإطار، وأن يقف حارسا على قيم المجتمع المسلم، لا أن يساعد على هدم ما تبقى فى قلبه وعقله من أصالة وصدق وإيثار، واستمساك بالمبادئ الفاضلة" (٨٤)

ومن أمثله هذا النقد، تعليق الدكتور محمد صالح الشنطى على أبيات الأعرابية التى تشكو فيها حرارة فراق الزوج، والتى تقول فيها (٨٥)

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنى ألا ضجيع ألاعبه
يسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا تحتويه أقاربه
فو الله لولا الله لا شئ غيره ... لينقض من هذا السرير جوانبه
ولكننى أخشى رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربى، والحياء يصدنى ... وأكرم بعلى أن تنال مراكبه

حيث يقول: " تمثل هذه المقطوعة اتجاها متميزا فى الأدب الإسلامى إبان المراحل الأولى لنشأته، وهى فى اعتقادنا خير شاهد على واقعية هذا الأدب حيث تصور الصراع بين نوازع الغزيرة التى تشد الإنسان إلى عشه الأرضى بوصفه قبضة من طين الأرض، وبين أشواق الإنسان التى تسمو به إلى المثل العليا بوصفه نفخة من روح السماء، وهى تومئ إلى المنحى الذى يعالج به الأدب الإسلامى لحظات الضعف البشرى التى يوشك فيها أن يقف على حافة السقوط فيعصمه ملهما مذخوره الروحى من التقوى والخشية واستنهاض عزائمه الإيجابية" (٨٦)

---

(٨٣) نجيب الكيلانى، آفاق الأدب الإسلامى ص ٨٤
(٨٤) المرجع نفسه / نفس الصفحة
(٨٥) انظر المرجع السابق ص ١٦١
(٨٦) المرجع نفسه / نفس الصفحة

ويعد هذا التعليق من جانب الدكتور الشنطى نموذجا من نماذج النقد الإسلامى، لأنه يبرز سمة فى النص من سمات الأدب الإسلامى، وهى واقعية هذا الأدب فى تعامله مع الإنسان، حيث إن الإنسان " الذى يتحدث عنه الأدب الإسلامى، هو ذلك النموذج الطبيعى الذى صوره القرآن الكريم، وكتب السيرة، وتناولته أحاديث الرسول وحفلت به كتب التاريخ، ذلك الإنسان الذى يتداول الضعف والقوة، ولحظات السمو والانخفاض ويتماوج بين أسباب السعادة والشقاء، الإنسان ليس ملاكا نزعت عنه الغرائز والرغبات لكنه كائن حى يخطئ ويصيب، ويبتسم ويدمع، ويتقدم ويحجم " (٨٧)، أى أن " الأدب الإسلامى يأخذ الإنسان كلا لا يتجزأ، يأخذه بنوازعه ودوافعه وأشواقه، وسموه معا بينما تقتصر الواقعيات الأوروبية على تصوير الدركات الدنيا للمجتمع وللنفس البشرية" (٨٨)

ومن أمثلة هذا النقد تعليق الدكتور الشنطى -أيضا- على مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم، فى إطار تأريخه للمسرح الإسلامى، حيث يقول وليس ثمة شك فى أن الحكيم قد خرج عن أسس الالتزام الإسلامى تحت وطأة النظر الفلسفى، فهو تارة يتحدث عن الإيمان بالبعث وتوكيده، ويتحدث عن نقيض ذلك تارة أخرى، وربما اشتط به الحوار، فأخرجه عن الجادة، وليس له فى ذلك أدنى عذر، وهكذا نجد أن مسألة وصف المسرحية بأنها دينية تأتى من زاوية مادتها المرتبطة بشكل أو بأخر بالمصادر الدينية، ولكننا بالتأكيد لا نستطيع أن نقول إنها إسلامية" (٨٩)

فعدم التزام الحكيم بثوابت الدين إذن أخرج مسرحيته أهل الكهف من دائرة الأدب الإسلامى، الذى من خصائصه موافقة المضمون لقيم الدين وثوابته على نحو ما سبق شرحه.

---

(٨٧) د. نجيب الكيلانى، آفاق الأدب الإسلامى ص ٣٦

(٨٨) د. محمد عادل الهاشمى، الإنسان فى الأدب الإسلامى، تأصيل وتحليل، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، بدون ت. ط ص ١٦

(٨٩) المرجع السابق، ص ٤٢١-٤٢٢

ومن أمثلة هذا النقد – أيضا– تعليق الأستاذ محمد حسن بريغش، على شعر الشاعر السورى محمد منلا غزيل، الذى يعلن فيه تمزيق كراسة شعر مرحلة الطفولة والصبا وحرقها لما تضمنته من معانٍ لا توافق توجهه الإسلامى الذى أصبح فيه بعد ذلك، وهو قوله : (٩٠)

مزقتها ذكريات الأمس وانـدثرت طفولة القلب فى دوامة النـدم
كراسة الشعر شعر الأمس من بين الرماد طوتها جذوة الضرم

حيث يقول الأستاذ محمد حسن بريغش مدافعا عن صنيع الشاعر هذا، بما يؤكد خاصية من خصائص الأدب الإسلامى" ولم يكن صنيع شاعرنا استهتارا بالفن، وإنما التزاما وتسديدا وتكريما، لأن الأدب والفن مسؤولية والتزام أمام الله سبحانه وتعالى، ثم أمام الناس، وحين يخلو الأدب من روح المسؤولية فينثر الأديب ما يهوى، ويعلن نفثات الشيطان وغوايات النفس، دون أكتراث بالأمانة يتحول إلى هدم ومكيدة للإنسان نفسه" (٩١)

ثم يضيف قائلا " إن لحظات الضعف، وحالات السقوط، ومناظر الشذوذ والتردى ليست صورة إنسانية قويمة، وإنها شذوذ وكفى" (٩٢)

فالتزام الأديب وإحساسه بالمسؤولية تجاه قيم المجتمع ومبادئه إنن هما المحك لقبول أدبه عند صاحب هذا النقد.

وهكذا يكون النقد الإسلامى، أحد ملامح التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، فهو آلية يؤكد من خلالها المؤرخ الأدبى الإسلامى على ملامح مادة تاريخه، الأمر الذى يدل على العلاقة الوثيقة والمتداخلة بين النقد وتاريخ الأدب، فالأول جزء من الثانى والثانى أشمل وأعم من الأول.

---

(٩٠) أنظر المرجع السابق ص ٨٩
(٩١) المرجع نفسه / نفس الصفحة
(٩٢) المرجع نفسه / نفس الصفحة

ثالثا : خاتمـــة :

وبعد فقد عرض البحث لمفهوم التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، ونشأته وملامحه وتطبيقاته وقد خلص الباحث منه إلى ما يلى:

أولا: أن التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، يمثل تيارا تجديديا فى منهج البحث فى مجال تاريخ الأدب، حيث إن نشأته والدعوة إليه من جانب أصحابه، جاءتا رد فعل لقصور المنهج القائم والمتبع فى دراسة الأدب العربى، والذى أحد ثمراته تاريخ الأدب العربى القائم.

ثانيا: أن هذا التصور، لا يزال قيد الفكر، حيث إن محاولات التطبيق عليه لا تزال محدودة للغاية، الأمر الذى يستدعى جهود الباحثين المخلصين، للإحزابه إلى حيز التطبيق، لإثراء البحث فى مجال تاريخ الأدب.

ثالثا: أن التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، لا يعكس واقع الأدب فى عصر من العصور أو فى بيئة من البيئات لاعتماده على مبدأ الاختيار والانتقاء، الأمر الذى يصبح معه التاريخ الأدبى الإسلامى، تاريخا قاصراً .

رابعا: أن التصور الإسلامى فى تأريخ الأدب، يسهم – فى الوقت ذاته– فى إبراز التجارب الأدبية المغمورة، الأمر الذى يجعل معه التاريخ الأدبى الإسلامى تاريخا مكملاً للتاريخ الأدبى العام.

رابعا : مراجع البحث

١. د. حلمى محمد القاعود : الواقعية الإسلامية فى روايات نجيب الكيلانى : دراسة نقدية، ط١ دار البشير، عمان، الأردن ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م .

٢. د. عبد الباسط بدر : مقدمة لنظرية الأدب الإسلامى، ط١، دار المنارة للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٣. د. عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش : نحو منهج أدبى إسلامى، ط١، مطابع مازن، أبها، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م

٤. د. عماد الدين خليل : فى النقد الإسلامى المعاصر، ط٣، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٥. محمد حسن بريغش : فى الأدب الإسلامى المعاصر، دراسة وتطبيق، ط١ مكتبة الحرمين بالرياض ١٩٨٢م.

٦. د. محمد عادل الهاشمى : الإنسان فى الأدب الإسلامى : تأصيل وتحليل، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، بدون ت.ط.

٧. د. محمد صالح الشنطى : فى الأدب الإسلامى : قضاياه وفنونه ونماذج منه ط٢ : دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٨. د. مصطفى عليان : مقدمة فى دراسة الأدب الإسلامى، ط١، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٩. د. نجيب الكيلانى :

١٠. أ-آفاق الأدب الإسلامى : ط١ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ -١٩٨٥م.

١١. ب-رحلتى مع الأدب الإسلامى : ط١ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٢. ج-نحو مسرح إسلامى، ط١ : دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١١هـ -١٩٩٠م.